الرقم الدولي المعياري للمؤتمر (معتمد ومصنف دوليًا) ISBN 978 - 9953 - 0 - 2970 - 2

المؤتمر الدولي الحادي عشر للغة العربية

22 - 24 أكتوبر 2025م الموافق 30 ربيع الآخر - 2 جمادى الأولى 1447هـ

دبي - الإمارات العربية المتحدة

الهيئات العربية والدولية أعضاء المجلس الدولي للغة العربية

أثر الهدايات القرآنية في شعر الإمام الشافعي

أ. د. بان حميد فرحان السيد الراوي

جامعة بغداد– كلية التربية للبنات

bana316@gmail.com

ملخص البحث:

يعد القرآن الكريم مصدرا لجميع العلوم الدينية واللغوية لاسيما أن الله عز وجل قد أمرنا بتدبر آياته ومعانيه، وأن نقتدي به وبسنة نبيه ﷺ، فالقرآن الكريم هو النور المبدد لظلمات الحياة، والهدى العاصم من كل ضلال، والروح التي تحيى بها النفوس الحياة الطيبة، والشفاء الكامل لكل ما تعانيه الأمة من أمراض. وتظهر أهمية هذه الدراسة في معالجتها لجوانب مهمة من الموضوعات التي ما زالت بحاجة إلى دراسات علمية، مما ينتج منه معرفة بالهدايات القرآنية عند الشعراء لاسيما في شعر الإمام الشافعي رحمه الله فهو أحد شعراء القيم الإنسانية والروحية الرفيعة في القرن الثاني الهجري، وأحد أئمة الفقه الإسلامي والأصول والحديث، فضلا عن شهرته ومكانته في علوم اللغة العربية والأدب والشعر والنقد؛ عليه فليس من الغريب أن يتأثر شعره بالقرآن الكريم؛ لذا عنيت هذه الدراسة بالكشف عن الهدايات القرآنية في شعره، وبيان ما استلهمه من معانٍ ودلالات قرآنية، إذ برزت عنده أفكار عديدة منها: الصبر، والاحتساب، والدعاء بالفوز بالجنة، وغيرها من الأفكار القرآنية. والسؤال الذي يطرح نفسه هنا: ما أثر القرآن في الشافعي؟ وهل انعكس ذلك على أشعاره؟ وهل وفِّقَ في نقل أفكاره للمتلقي؟؛وسنعمد في بحثنا الإجابة عن هذه الأسئلة، لنبين للقارئ الموضوعات التي تناولها ومدى تأثره بكتاب الله ﷻ وسنة نبيه ﷺ والذي يتضح في ألفاظه ومعانيه، وموضوعاته وأفكاره، وذلك على وفق المنهج الوصفي التحليلي، وعلى وفق المباحث الآتية:

المبحث الأول: تعريف الهدايات القرآنية لغة واصطلاحا.

المبحث الثاني: أهمية الهدايات القرآنية وخصائصها .

المبحث الثالث: التعريف بالإمام الشافعي.

المبحث الرابع: خصائص شعره و موضوعاته.

المبحث الخامس: أثر القرآن الكريم وهداياته في شعره.

الخاتمة: عرض لأهم نتائج البحث.

****

المبحث الأول: تعريف الهدايات القرآنية لغة واصطلاحا

الهدايات جمع الْهُدَى وهي لغة ضِدُّ الضَّلَالِ، قال ابن سيده: "الهُدى ضدّ الضلال، وهو الرَّشادُ "[1]. وتطلق العرب كلمة (الْهُدَى) على ما هو ظاهر محسوس فتقول : هَدَيْتُهُ الطَّرِيقَ، أي عرَّفته. ويقال هديته إِلى الطريق بمعنى أَرشَدْته إِليها، ويقال هَدَيْتُ له الطريقَ على معنى بَيَّنْتُ له الطريق، فهو حقيقة في الطريق المحسوس، ومجازا في الطَّريق المعنويِّ، وضدُّهُ الضَّلَال، وهو الخروج عن الطريق، ورجل ضلَّ عن الطَّريق إِذا خرج عنه؛ لأَنَّه التبس عَلَيْه الْأَمر" [2]. وفي حديث ابن مسعود: « وأَحسَنَ الهَدْيِ هَدْيُ محمدٍ ﷺ»[3]، أَي: أَحسن السيرة والطريقة والمنهج والهِداية. والهدايات جمع هداية، وهي من الهُدَى، بضم الهاء وفتح الدال، ومن هَدَى، يهْدي، هَدْياً، وهُدَى وهِدَايَةً [4]. ويرى الراغب الأصفهاني في مفرداته أن الهدى والهداية في اللغة شيء واحد ، إذ قال : "والهدى والهداية في موضوع اللغة واحد" [5].

وقد جاءت كلمة "الهدى" في مواضع كثيرة في القرآن الكريم، وبمعانٍ متعددة، منها الإرشاد للحق كما في قوله تعالى: (إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا)[سورة الإسراء: الآية 9]؛ أي يهدي ويرشد[6]؛ كذلك تأتي بمعنى الإيضاح والبيان، من ذلك قوله تعالى: (وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ) [سورة البلد: الآية 10]؛ أي بيَّنا له الطريقين[7]، وتدل أيضا على الطريق الواضح[8]،كما في قوله تعالى:(لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا هُمْ

---

[1] - المحكم والمحيط الأعظم، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي(ت458ه)، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية- بيروت، ط1، 1421ه-2000م، (2/217) ، ولسان العرب ، جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور(ت711ه)، تحقيق : نخبة من الأساتذة العاملين بدار المعارف، دار المعارف- القاهرة، ط1، (د.ت)، مادة هدى (15/ 353) .

[2] - ينظر : المحكم والمحيط الأعظم ، مادة هدى ،ج2/ص 217 ؛ و الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، إسماعيل بن حماد الجوهري(ت393ه)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين- بيروت، ط4، 1407ه-1987م ،ج8/ص473.

[3] - صحيح البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي(ت256ه)، تحقيق: د.مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، دار اليمامة- دمشق، ط5، 1414هـ- 1993م، كتاب الأدب، باب : الهدي الصالح، برقم:(5747) .

[4] - ينظر : تاج العروس من جواهر القاموس(1205ه)، أبو الفيض محمد الملقّب بمرتضى الزَّبيدي ، تحقيق: مجموعة من المحققين ، دار الهداية _بيروت، (د.ت) ، مادة هدى ،ص8661 .

[5] - المفردات في غريب القرآن، الحسين بن محمد الراغب الأصفهاني(ت502ه)، تحقيق : محمد سيد كيلاني ، دار المعرفة- بيروت،(د.ت)، ص519.

[6] - ينظر: الوجوه والنظائر لألفاظ كتاب الله العزيز، أبو عبد الله الحسين بن محمد الدامغاني(ت487ه)، تقديم وتحقيق : عربي عبد الحميد علي، بيروت - دار الكتب العلمية، (د.ت)، ج1/ ص306 .

[7] - ينظر: البرهان في علوم القرآن، بدر الدين محمد الزركشي(ت794ه)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ط1 ، 1376هـ-1957م ، ج1/ص134.

[8] - ينظر : تفسير القرآن العظيم ، لأبي الفداء إسماعيل ابن كثير الدمشقي(ت774ه) ، تحقيق: سامي ابن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع - مكة المكرمة،ط2 ، 1420هـ-1999م، ج 5/ص451.

نَاسِكُوهُ فَلَا يُنَازِعُنَّكَ فِي الْأَمْرِ وَادْعُ إِلَى رَبِّكَ إِنَّكَ لَعَلَى هُدًى مُسْتَقِيمٍ) [سورةالحج:الآية67]، وقد تأتي بمعنى الصواب[9]، كما في قوله تعالى: (أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَى الْهُدَى) [سورة العلق: الآية 11]، وغيرها كثير من المعاني والدلالات.

ومن المعنى اللغوي والمعنى القرآني الدال على الهداية، والرشاد، والبيان ، وطريق الوضوح و الصواب، وغيرها من المعاني يمكننا أن نصل الى المعنى الاصطلاحي للهدايات القرآنية الذي عرفه ابن عاشور بأنه: " الدلالة على ما يرضي الله من فعل الخير ويقابلها الضلالة وهي التغرير" [10]. أو هي " بيان ما جاء في القرآن من إرشادات تهدي من فهمها وعمل بها لما يحقق له سعادة الدارين، ومن هنا عرفنا الهدايات القرآنية بأنها:" الدلالات المبينة لما في القرآن الكريم من إرشادات توصل لكل خير، وتعصم من كلِّ شر"[11].

****

المبحث الثاني: أهمية الهدايات القرآنية وخصائصها

يُعد الاهتداء إلى الأصوب والأكمل والأفضل في جميع القضايا من أهم ما تسعى المجتمعات الإنسانية لتحقيقه والوصول إليه، وعلى رأس ما يوصل إلى ذلك الاهتداء بهدايات القرآن الكريم؛ لربانية مصدرها ولمواكبتها لكل حال وزمان ومكان إلى قيام الساعة. ومن أولى مقاصد القرآن الكريم أن يهدي الناس للتي هي أقوم قال تعالى: (إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا)[سورة الإسراء: الآية ٩].

وتكمن أهمية الهدايات في غايتها ألا وهي إخراج الناس من ظلمات الكفر والشرك والجهل والضلال والمعصية إلى نور الإيمان والعلم والهدى والطاعة وفي ذلك يقول الحق سبحانه: (وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) [سورة الشورى: الآية 52]؛ قال ابن جرير في

---

[9] - ينظر: الإتقان في علوم القرآن، للحافظ جلال الدين عبد الرحمن ابن أبي بكر السيوطي(ت911ه)، تحقيق وطبع: مركز الدراسات القرآنية التابع لمجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة، 1426هـ ، ج3/ص979 .

[10] - تفسير التحرير والتنوير، محمد الطاهر ابن عاشور(ت1393ه)، الدار التونسية للنشر، 1984م، ج1/ص188.

[11] - الهدايات القرآنية دراسة تأصيلية ، أ. د. طه عابدين طه حمد ، و د. ياسين حافظ قاري، ود. فخر الدين الزبير علي، ضمن مطبوعات كرسي الملك عبد –رحمه الله- وكرسي الهدايات القرآنية في جامعة أم القرى، ط1، 1438ه، ص31-32.

معنى قوله تعالى: " لتهديهم به من ظلمات الضلالة والكفر إلى نور الإيمان وضيائه ، وتبصر به أهل الجهل والعمى سبل الرشاد والهدى " [12].

لقد تحول العرب بفضل الهدي القرآني من مجتمع كافر يعبد الأصنام على مجتمع موحد، ويمكن لنا أن نجمل أهمية الهدايات في الآتي:

1- إنها تعمق عظمة القرآن في النفوس وترسخ فكرة هدايته لما فيه خير الدنيا والآخرة.

2- تزيد من ارتباط الإنسان بالقرآن الكريم؛ إذ إنها توضح معاني آياته لتقربها إلى أفهامهم .

3- إنها تحيي طريق السلف الصالح والعلماء في اعتماد القرآن الكريم منهجاً أصيلاً لإصلاح الواقع.

4- إنها تظهر شمولية القرآن وما فيه من أحكام فوق ما تتصوره العقول البشرية.

5- تدل على إعجاز القرآن الكريم، إذ إن في القرآن الكريم نواح من الإعجاز غير ما يحويه من أسرار البلاغة والبيان ومن السهل معرفتها على من لم يتمهر فيها[13].

ولقد انمازت هدايات القرآنية بخصائص متعددة ولعل من أبرز خصائصها أنها ربانية المصدر والغاية، ومصدقا ذلك قوله تعالى:(وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدَى)[سورة النجم:،الآية23]، وقوله عزَّ من قائل:(وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ)[سورة الأنعام: الآية155]، فهي مستخرجة من كتاب الله الذي أنزله ليكون هدى ورحمة، ونوراً وبشرى للعالمين، و تمثل المقصد الأول للقرآن الكريم؛ إذ إنها مصدر هداية الأمة للإيمانِ الصحيح، والعملِ الصالح المستقيم للوصولِ لحياةٍ طيبةٍ، ولذلك يقول الحق:(قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنْزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ) [سورة الأحقاف:الآية30]، فالقرآن نزل ليهدي للتي هي أقوم، في العقائد، والعبادات، والأخلاق وسائر الأمور؛ لذا يقول ابن تيمية : " والمطلوب من القرآن هو فهم معانيه والعمل به، فإن لم تكن هذه همة حافظه لم يكن من أهل العلم والدين، -والله سبحانه أعلم- " [14] .

---

[12] - جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، لأبي جعفر محمد بن جرير بن يزيد الطبري(ت310ه) ، بتحقيق: أحمد محمد شاكر، الطبعة الأولى، بيروت : مؤسسة الرسالة ، 1420هـ/2000م، ج7/ص267.

[13] - ينظر: ضوابط تنزيل الهدايات القرآنية على الواقع ، د. فخر الدين بن الزبير المحسى، ضمن مطبوعات كرسي الملك عبد الله وكرسي الهدايات القرآنية في جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ط1، 1441هـ ، ص10؛ الهدايات القرآنية في سورة البروج عرض ودراسة، د. عبد الحكيم محمد منصور، (بحث منشور) مجلة الدراية، كلية الدراسات الإسلامية – جامعة الأزهر بدسوق، العدد 23، 2022م، ص170.

[14] - مجموع الفتاوى ، لتقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني(ت728ه) ، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، المدينة المنورة: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، 141هـ- 1995م ، ج23/ص55.

فضلا عن ذلك فإنها عامة وشاملة، فهي هدايات للناس جميعاً، ليتعلموها ويعملوا بها، وتشمل عموم الزمان، قال تعالى:(وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آَتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ) [سورة المائدة: الآية 48].

****

المبحث الثالث: التعريف بالإمام الشافعي

تعد شخصية الإمام الشافعي شخصية فريدة وكيف لا يكون ذلك وقد جمع المجد من أطرافه، فهو سليل الدوحة الهاشمية ومجدد القرن الثاني الهجري، وواضع علم أصول الفقه، وبشر به النبي ﷺ بحديث ضعيف (والأحاديث الضعيفة يؤخذ بها في الفضائل بشروط معينة)، وهو رام ماهر، ومن رجال الفراسة المعدودين، ومن الشعراء النابهين، وأحد الأئمة الأربعة المتبوعين، يكاد يكون الوحيد من العلماء- قديما وحديثا – الذي جمع بين ثناء الأئمة عليه، ومحبة الأمة له، وندرة من انتقده أو له مآخذ عليه، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء؛ هو" محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن السائب ابن عبيد بن عبد يزيد بن هاشم بن مطلب بن عبد مناف بن قصي يجتمع مع رسول الله ﷺ في (عبد مناف)" [15]. كنيته أبو عبد الله، ولقبوه "ناصر الحديث"(السنة) [16].

ولد الإمام الشافعي عام مئة وخمسين من الهجرة النبوية المشرفة في غزة في فلسطين، وهي ذات السنة التي توفي فيها الإمام أبو حنيفة النعمان رحمه الله، وقد وحملته أمه – وهي من الأزد – إلى مدينة عسقلان الواقعة قرب غزة، وحينما بلغ السنتين من عمره، رحلت به إلى الحجاز فدخلت به إلى قومها – وهم من أهل اليمن – فنزلت فيهم، ولما بلغ السنة العاشرة خافت أمه على نسبه من الضياع، فحملته راحلة به إلى مكة المكرمة[17] .

---

[15] - في مناقب الإمام الشافعي توالي التأسيس لمعالي محمد ابن إدريس، ابن حجر العسقلاني (ت852ه)، تحقيق : أبو الفداء عبد الله القاضي، دار الكتب العلمية ،بيروت- لبنان،ط1، 1406 هـ.- 1986م، ص34.

[16] - كتاب الوافي بالوفيات، صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي(ت764ه)، تحقيق: أحمد الأرناؤوط و تركي مصطفى، دار إحياء التراث العربي، بيروت –لبنان،ط1، ط1420هـ- 2000م،ج2/ص125.

[17] - ينظر: معجم الأدباء - إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي(ت626هـ)، تحقيق: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة1، 1414 هـ - 1993م ،ج 6/ ص2394.

كان الشافعي رحمه الله قمة في التواضع، ومثالا في الإخلاص، يجيب عن الأسئلة الموجهة إليه في صوت خفيض مهيب، قائلا في تواضع : ما نَاظرتُ أحدا قط على الغلبة[18].

حفِظ القران الكريم وهو ابن سبعة أعوام، وحفِظ موطأ الإمام مالك وهو ابن عشر سنين، وكان رحمه الله في بداية أمره يطلب الشعر وأيام الناس والأدب، وقرأ أشعار هذيل ثم أخذ بتعلم الفقه بعد ذلك، وطلب كتب الفراسة باليمن حتى حفظها[19].

تزوج (حميدة) حفيدة صهر النبي ﷺ - ثالث خلفاء المسلمين- عثمان بن عفان (رضي الله عنه)، وانجب منها أبنه (أبو عثمان محمد) وبنتاه (زينب وفاطمة)، ثم تزوج في أخر عمره بعد وفاة زوجته حميدة ب(دنانير) أم ولده (أبو الحسن)؛ فأصبح له ولدان وبنتان[20].

وقد رحل إلى الحجاز، والى اليمن، و إلى العراق فأقام في بغداد سنتين، ثم رحل إلى مصر عام مائة وتسع وتسعين للهجرة، فمكث بها حتى توفي فيها [21] .

تتلمذ الشافعي- رحمه الله – على يد عدد كبير من الأئمة، وتخرج على يديه الكثير من العلماء الذين يشار إليهم بالبنان ومن أبرز شيوخه الأئمة الذين أخذ منهم العلم هم: مالك بن أنس الإمام، وعبد الله ابن المبارك المرزوي، والفضيل بن عياض الزاهد، و محمد بن عمرو الواقدي. وغيرهم [22].

أما اشهر تلاميذه الأعلام فمنهم : أحمد بن حنبل، وقتيبة بن سعيد، ويحيى بن الأكثم، والربيع المرادي، محمد بن جرير الطبري، وكثير غيرهم[23].

وكان موضع ثناء جهابذة العلماء- قديما وحديثا-، ومن ذلك قول شيخه مسلم بن خالد الزنجي له – وهو ابن خمس عشرة سنة -: أفتِ يا أبا عبد الله فقد – والله –آن لك أن تفتي؛ وقول أيوب بن سويد الرملي: ما ظننت إني أعيش حتى أرى مثل هذا الرجل قط؛ وقول يحيى بن سعيد القطان: إني لأدعو الله عزَّ وجلَّ للشافعي في كل صلاة؛ وقول الحميدي : كنا نريد أن نرد على أصحاب الرأي فلم نحسن كيف نرد عليهم، حتى جاءنا الشافعي ففتح لنا؛ وقال حسين الكرابيسي: الشافعي

---

[18] - ينظر: الإمام الشافعي ناصر السنة ..وواضع الأصول، عبد الحليم الجندي، دار المعارف، القاهرة، ط1، (د،ت)، ص295.

[19] - آداب الشافعي ومناقبه، أبو محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي(ت327)، تحقيق : عبد الغني عبد الخالق ، مكتبة الخانجي – القاهرة،ط2، 1413ه- 1993م، ص22-35.

[20] - ينظر: ديوان الشافعي حبر الأمة وإمام الأئمة (ت204ه)، تحقيق: د. عبد المنعم خفاجي، مكتبة الكليات الأزهرية- القاهرة، ط2، 1405ه-1985م.، ص9 و 21.

[21] - وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، أبو العباس أحمد بن خلكان(ت681ه)، تحقيق: د. إحسان عباس، دار صادر- بيروت، ط1، 1971م،ج4/ ص165.

[22] - ينظر: في مناقب الإمام الشافعي ، ابن حجر العسقلاني ، ص62-71.

[23] - ينظر: المصدر السابق، ص82-99.

رحمة من الله لأمة محمد صلى الله عليه وسلم ؛ وقال أحمد بن حنبل :كانت أقفيتنا – وفي رواية أقضيتنا – أصحاب الحديث في أيدي أصحاب أبي حنيفة ما تنزع حتى رأينا الشافعي رضي الله عنه، وقال: أفقه الناس في كتاب الله عزَّ وجلَّ وفي سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، ما كان يكفيه قليل في الطلب في الحديث؛ وقال داوود الظاهري: للشافعي من الفضائل ما لم يجتمع في غيره من شرف نسبه، وصحة دينه ومعتقده، وسخاوة نفسه ومعرفته بصحة الحديث وسقيمه وناسخه ومنسوخه وحفظ الكتاب والسنة وسيرة الخلفاء، وحسن التصنيف[24]؛ فكان بحق كما وصفه الإمام أحمد ابن حنبل (رحمه الله) إذ قال: " كان الشافعي كالشمس للدنيا وكالعافية للناس، فانظر هل لهذين من خلف أو منهما عوض" [25].

وللشافعي تصانيف كثيرة أهمها :

أ-الأم ب- إثبات النبوة ج- أحكام القران الكريم د- السنن ه- المسند في الحديث و- ديوان الإمام الشافعي، وغيرها[26].

توفي الإمام الشافعي (رحمه الله) في مدينه الفسطاط في مصر يوم الجمعة آخر أيام رجب من عام مائتين وأربع للهجرة، عن عمر يناهز الأربع وخمسين عاما، ورثاه العلماء والشعراء بقصائد كثيرة اشهرها قصيدة ابن دريد الأزدي، التي نورد بعضا من أبياتها :

الم تر آثار ابن إدريس بعده دلائلها في المشكلات لوامعُ
معالمُ يفني الدهرُ وهي خوالدٌ وتنخفض الأعلام وهي فوارعُ
مناهج فيها للهدى مُتصرفٌ موارد فيها للرشاد شرائعُ

*****

لرأي ابنِ إدريس ابن عم محمدٍ ضياءٌ إذا ما أظلم الخطب ساطعُ
إذا المعضلات المشكلات تشابها سما منه نورٌ في دُجاهن لامعُ
أبى اللهُ إلا رفعه وعلوه وليس لما يُعليه ذو العرش واضعُ

*****

---

[24] - ينظر: آداب الشافعي ومناقبه، ص 39 وما بعدها؛ تاريخ بغداد (تاريخ مدينة السلام وأخبار محدثيها وذكر قطانها العلماء من غير أهلها وواريديها)، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي (ت463 هـ)، تحقيق: د. بشار عواد، دار الغرب الإسلامي – بيروت، ط1، 1422ه-2002م، ج2/ ص403-414؛ كتاب الوافي بالوفيات ،ج2/ص121-124.وينظر: ديوان الشافعي، ص3-4 و25.

[25] - كتاب الوافي بالوفيات، ج2/ ص124؛ وينظر: ديوان الشافعي،ص14.

[26] - ينظر: كتاب الوافي بالوفيات ،ج2/ص124.

جرت لبحـور العـــــلم أمدادُ فكــره لهـــــا مـــــدد في العـــــــالمين يتـــــابـــعُ

تســـــربـــل بالتقـــوى وليـــدا وناشـــئـا وخُـص بـلُب الكهـــــــــــل مـذ هو يـــــــــــافـــعُ

فمن يـك علـم الشـــــــافعي إمـامـــــه فمرتـــعـــه في بـاحـــــة العـــــلـم واســـــــــــــــــــعُ

ســـــلام على قبـر تضمَّـن جـــــسمَـه وجادت عليه المدجناتُ الهوامعُ[27]

****

المبحث الرابع: خصائص شعره و موضوعاته

يتفق العلماء من أهل الفقه والحديث والأصول واللغة والنحو وغير ذلك على "جلالته وبراعته وفضيلته وإمامته وتقواه وديانته وورعه وزهادته وجوده وسماحته ومروءته ونزاهته وحسن سيرته ولطافته"[28].

وقد عرف الشافعي رحمه الله بفصاحة لغته وجودتها، وحلاوتها وحسن وقعها لدى السامعين[29]، ولغته متميزة يؤخذ بها بشهادة أئمة اللغة من معاصريه، و يتسم شعره بسهولة اللفظ وعذوبته، مع رقي الفكر وعمق المعنى، مركزا في شعره على نسج معاني الحكمة والزهد والتعبير عن التجارب الذاتية والتجارب العامة، وإبراز معاني الوفاء والصدق[30].وإذ كان الشعر حديث النفس فإن الفقه حديث العقل، وبفضل الله جمع الشافعي الحديثين معا النفس والعقل.

وقد تميز الشافعي رحمه الله بشاعرية متدفقة وموهبة مقتدرة، وسليقة أدبية أصيلة ترجع الى كفاءته النادرة من حيث ذكائه وفطنته، كما تعود الى أصالة ثقافته في حسن تعلمه وتلقيه للعلوم الإسلامية قرآناً وحديثاً وأدبا وشعراً، وإن كان قوله للشعر لم يأتِ على نفس الشعراء واتجاههم لأنه "يرى الشعر التقليدي مما يزري بمكانته العلمية بعد أن صرف عنان فرسه الى علوم الشريعة"[31]. فالشعر عند الشافعي له وظيفة اجتماعية أخلاقية تتمثل في الدعوة إلى المعروف والنهي عن المنكر

---

[27]- ديوان الإمام أبي بكر بن دريد الأزدي، تحقيق: السيد محمد بدر الدين العلوي ،تحقيق: محمد بدر الدين العلوي ،مطبعة لجنة التأليف والنشر- القاهرة، 1365ه- 1946م، ص 83-84 (قافية العين) .

[28] - شعر الشافعي الإمام الفقيه أبي عبد الله محمد بن إدريس الشافعي(ت204ه)، جمع وتحقيق ودراسة : د. مجاهد بهجت مصطفى، كلية التربية- جامعة بغداد، 1406ه- 1986م، ص20.

[29] -ينظر: المصدر السابق، ص22.

[30] - ينظر: القيم التربوية عند الإمام الشافعي من خلال شعره، دلال كاظم عبيد، مجلة البحوث التربوية والنفسية، جامعة بغداد مركز البحوث النفسية و التربوية ، بغداد – العراق ، المجلد 2016، العدد 49 (30 يونيو/حزيران 2016)، ص368.

[31]- شعر الإمام الشافعي، ص66.

ونشر مكارم الأخلاق، وقد الزم نفسه بهذه الفكرة في كل ما قاله من شعر في طوال حياته. ولقد تنوعت أغراضه الشعرية وموضوعاته ما بين شعر الأخلاق والآداب الاجتماعية والإسلامية، وشعر الزهد والتصوف والعقيدة، وشعر الحكمة، والأغراض التقليدية والتربوية والتعليمية و بما ينسجم مع شخصية الإمام الفقيه، وقد تضمنت موضوعات شعره العديد من الفنون البلاغية [32].

ولعل أول ما سنقف عنده في دراستنا لموضوعات شعره هو شعر الأخلاق والآداب الذي يدور في مكارم الأخلام ومعاني الأخوة والصحبة الحسنة، إذ يعبر عن صدق مودته لصاحبه بعدم جفائه وإن جفاه؛ بل يعمد لوصاله والتغاضي عن مساوئه وفي ذلك يقول:

لستُ ممن إذا جفاهُ أخوهُ أظهرَ الذم أو تناولَ عِرضـــــــــا

بل إذا صَاحبي بَدا لي جَفاهُ عُدتَ بالودِّ والوصالِ ليرضى[33]

إلا إنه يُجافي بعض أصحابه من أصحاب السلطة والإمارة إذ ما لمس منهم التقصير؛ فقد عاتب أحد أقاربه الذي كان أميرا في اليمن بعد أن نزل في ضيافته ورأى منه ما يكره قائلا له:

أتــاني عـذر منك في غـيـر كنهـــه كأنـك عـــن بـــرى بـذاك تحيـــــدُ

لســـــــانـك هـــش بالنوال ولا أرى يمينـــك إن جـاد اللســـان تجـــــــودُ

****

إذا كان ذو القربـــى لديك مبعــداً ونال الذي يهـــوى لديك بعيدُ

تفرق عنـــك الأقربون لشـــــــأنهـــم وأشفقت أن تبقى وأنت وحيدُ

وأصبحت بين الحمد والذم واقفاً فياليت شـــعري أي ذاك تريدُ ؟ [34]

على حين أظهر لنا شعره علاقته بأصحابه من علماء عصره؛ من ذلك علاقته بالإمام أحمد بن حنبل رحمه الله وما كان بينهما من ودٍّ وتزاور، جاعلا الفضل كله لصاحبه ابن حنبل إذ يقول:

قـــــــالوا يـــزورك أحمد وتـــــزوره قلت : الفضائل لا تفارق منـــزله

إن زارنـــــي فبــفضله أو زرتـــــــــه فلفضله، فالفضل في الحالين له [35]

ومن مكارم الأخلاق التي دعا إليها غنى النفس والرضا بالقليل ـإذ قال:

إذ شئت أن تحيا غنيا فلا تكن على حالة إلا رضيت بدونها[36]

كما دعا لترك الطمع إذ قال:

أزلت مطامعي وأرحت نفسي لان النفس ما طمعت تهون

---

[32] - ينظر: المصدر السابق، ص51.

[33] - المصدر السابق ، ص150.

[34] - المصدر السابق،ص121.

[35] - المصدر السابق،ص177.

[36] - المصدر السابق،ص205.

إذا طـمـــع ألم بـنـفـــــس عـبـد علتـــــه مذلــة وعـــــلاه هـــــون[37]

ولم تقف موضوعات شعره عند مكارم الأخلاق، فقد تعداها إلى الحديث عن الزهد والتصوف والعقيدة، والتي احتلت مساحة واسعة من أشعاره، ومما قاله في الزهد بالدنيا قوله:

محـــــن الزمـــــان كثـيرة لا تنقضـي وســـــــروره يـأتيـــك

كالأعيـــــــاد[38]

فهو زاهد بالدنيا لما فيها من محن وآفات، كما يرى في الموت طريقا للتذكير بالضعف البشري، إذ يقول:

من الموت لا ذو الصبر ينجيه صبره ولا لجــزوع كـــارهِ المـــوتِ مجـزع

أرى كل ذي عمر وإن طـال عمـره وعاش له سُمٌّ من الموت مُنقع([39])

ومن التصوف ما قاله وهو يلهج بالدعاء في مرض موته ليعفو الله عن ذنوبه :

إليك إلـــــــه الخلق أرفـــــــع رغبـــــتي وإن كنت ياذا المن والجود مجرما

ولما قسا قلـــــبي وضاقت مذاهبـــي جعلت الرجا مني لعفوك ســـــلما

تعاظمـــــني ذنبـــي فلما قرنتـــــــــــــــه بعفوك ربي كان عفوك أعظمـا

وما زلت ذا عفو عن الذنب لم تزل تجـــــــود وتعفـــو منة وتكرمـــــــا[40]

وقد أفصح في أشعاره عن الإيمان بالله والتصديق بالبعث إقراره للخلفاء الراشدين إذ قال:

شهدت بأن الله لا شيء غيره وأشـــــــــهد أن البعـــث حق واخلص

وأن أبـــــا بـــكر خليفـــــة ربـــــه وكان أبو حفص على الخير يحرص

وأشهد ربي أن عثمان فاضل وأن عليـــــــا فـــضلـــــــــه

متخصـــص [41]

ومن موضوعات العقيدة التي تناولها في شعره إيمانه بقدر الله وقضائه، وخلق الله لعباده وتقدير السعادة والشقاء أو الغنى والفقر ،إذ قال:

ما شئت كان ، وإن لم أشأ وما شئت إن لم تشأ لم يكن

خلقت العباد على ما علمت ففي العلـم يجـري الفتى والمـــن

فمنهم شـقى، ومنهم ســـــعيد ومنهم قبيـــح ومنهم حســـــن

على ذا مننت وهذا خـذلـــت وذاك اعنـــت وذا لـم تـعـــــن[42]

---

[37] - المصدر السابق، ص199.

[38] - المصدر السابق، ص123.

[39] - المصدر السابق، ص155.

[40] - المصدر السابق، ص185.

[41] - المصدر السابق،ص145.

[42] - المصدر السابق، ص197.

ويؤكد على أهمية الدعاء فهو سلاح المؤمن بالله الواثق بربه؛ وفي ذلك يقول:

أتـهـــزأ بالدعـــــاء وتـزدريـــــــــه وما تـــــــدري بما صنع الدعـــــاء

سهام الليل لا تخطي ولكن لـــــــه أمـــد وللأمـــــــد انقضـــاء[43]

وإن تناول الشافعي رحمه الله موضوعات مختلفة إلا أنه برع في شعر الزهد والحكمة حتى أنماز فيهما من غيره من شعراء عصره أو حتى ممن سبقوه أو من جاءوا بعده، فحكمته تختلف عن حكمة زهير بن أبي سلمى التي تتصل بثقافة البيئة العربية الجاهلية وعاداتها وتقاليدها وآدابها، كما في قوله:

ومن لم يذد عن حوضه بسلاحه يهدم ، ومن لا يظلم الناس يظلم[44]

وكذلك قوله :

لسان الفتى نصف ، ونصف فؤاده فلم يبق إلا صورة اللحم والدم[45]

وإذ يمثل زهير أبرز شعراء الحكمة في الجاهلية؛ فإن المتنبي أبرزهم في الإسلام (في العصر العباسي تحديدا)، ومن حكمته قوله :

ذو العقلِ يَشقَى في النعيمِ بعقلهِ وأخو الجهالةِ في الشقاوةِ يَنعمُ[46]

إلا أن حكمة الإمام الشافعي انمازت عما سواها، إذ يظهر فيها مدى تأثره بتعاليم الإسلام العظيم وشريعته السمحة، فضلا عما نجده من قيم أخلاقية فيه ، ومن ذلك قوله محذرا من بلايا الدنيا الكثيرة، مشيرا إلى أربع ذات خطر جسيم إذ يقول:

إنـي بـلـيت بـــأربــع يـــرمينـنـــــي بالنبل عن قوس لهن صرير

إبليس والدنيا ونفسي والهوى أنـــى يفـر من الهوى نحرير[47]

وفي حكمة بالغة أشار إلى قدر الله في رزقه؛ إذ جعل نصيب النسور القوية جيفا، على حين جعل للنحل الضعيف عسلا ، قائلا في ذلك :

رعت النسور بقوة جيف الفلا ورعى الذباب الشهد وهو ضعيف[48]

---

[43] - ديوان الشافعي، ص48.

[44] - ديوان زهير بن أبي سلمى، شرح وتقديم علي حسن فأعور، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط1، 1408هـ- 1988م، ص111.

[45] - المصدر السابق، ص112.

[46] - ديوان المتنبي، أبوالطيب أحمد بن الحسين(ت354ه)، دار بيروت للطباعة والنشر- بيروت، 1403هـ- 1983م، ص 571.

[47] - شعر الإمام الشافعي،ص131.

[48] - المصدر السابق ، ص159.

وكاد يخلو شعره (رحمه الله) من المديح والهجاء والفخر والرثاء؛ إذ لا نجد له إلا بضع أبيات قالها في هذه الموضوعات، ومثال ذلك ما قاله في الفخر والذي يدخل في مكارم الأخلاق الذاتية قوله معتدا بعلمه من دون تكبر وغرور:

ولولا الشعر بالعلماء يزري لكنت اليوم أشعر من لبيدِ[49]

أما الهجاء فقد جاء في باب السخط لما يجده من ضلال وخروج عن طريق الحق والرشاد، ومن ذلك سخطه لما يراه من حال بعض القضاة وما يبدو له من ضلالهم وبعدهم عن جادة الصواب فكانوا كمن باع دينه بدنياه وفي ذلك قال:

قضاة الدهـــــــــــــــر قد ضلوا فقـــــد بانـت

خســـــــــارتهم

فباعـــــــوا الـــديـــن بالدنيـــــا فما ربحـت تجـــــــارتـهـم[50]

يتضح -بعد هذا كله- تمكن الشافعي رحمه الله من فن القول، وجمال أشعاره التي وظفها في لنشر الحق والخير الفضيلة في المجتمع الإسلامي.

****

المبحث الخامس: أثر القرآن الكريم وهداياته في شعره

تتنوع مصادر شعر الشعراء بتنوع ثقافاتهم واتجاهاتهم الفكرية، وكان الشافعي رحمه الله يستمد شعره من المعين الذي لا ينضب ألا وهو القرآن الكريم، ومن منهل السنة الشريفة الأعذب الذي يسترطب به الظمآن ويستعذب، وكيف لا يكون ذلك والشافعي رحمه الله إمام فقيه حافظ لكتاب الله عزَّ وجلَّ، وقد نشأ وترعرع في بيت علم ودين وأدب، وتتلمذ على يد أشهر العلماء والفقهاء والمؤدبين، لذلك نجد شعره يفيض بالتراكيب والمفردات القرآنية؛ والموضوعات الإسلامية التي حثت عليها السنة المحمدية، ومما عرض له في شعره التسليم بقضاء الله وقدره " لأن الإنسان إذا عمل وتوكل على خالقه لن يخاف مشيئة الله خاصة عندما يحسن الظن بربه وهذا يجعل نفس المؤمن صابرة راضية بما قدر الله تعالى لها" [51]، وفي ذلك يقول:

أُســـــــلمُ إن أراد الله أمـــــرا فأتـركُ مـا أُريدُ لمـا يُـريـــــــــدُ

ومـا لإرادتـــــي وجـــهٌ إذا ما أراد الله لي مـــا لا أُريـــــدُ[52]

---

[49] - المصدر السابق، ص122.

[50] - المصدر السابق، ص104.

[51] - تجليات التناص الديني في شعر الإمام الشافعي، د. ياسمين بوكردوح و ليلى جودي، مجلة النص، جامعة الجزائر، مج9، ع1، السنة 2023م، ص11.

[52] - شعر الإمام الشافعي، ص261.

وقد استلهم بيتيه من قوله عز وجلَّ:(أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَى وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ) [سورة يس،الآية81]؛فعلى المؤمن أن يسلم أمره لله عزَّ وجلَّ ويقنع بإرادة الله فيه ،لأن أمر الله فوق كل أمر.

ومما جاء به القرآن الكريم والسنة الشريفة هو حسن التوكل والرضا بالقضاء التوكل على الله في عاجل أمرنا وآجله، وكان الشافعي مدركا لهذا المعنى ومؤمنا به إيمانا لا يشوبه شائب؛ لذا عبَّر عنه بـأصرح التعابير وأدقّها خصوصاً؛ فتراه لا يشك في أن الله عزَّ وجل هو الرّزاق، وبفضله وكرمه لا يتحسر على ما فات ولا يطمع فيما لم يأتِ؛ وفي ذلك يقول:

توكَّـلتُ في رزقـــي على اللهِ خالــقـي وأيقنتُ أنَّ اللَه لاشـــــك رازقي

ومـا يك من رزقـي فليـــــــــس يفـوتني ولو كان في قاعِ البحارِ الغوامِق

ســــــــيأتي بـــه اللهُ العظيـــــم بفـضـلِـــــه ولو لم يَكن منّي اللســـانُ بناطِـــق

ففي أي شيءٍ تذهب النفس حسرة وقد قسم الرحمن رزقَ الخلائقِ ؟[53]

وأبياته هذه تذكرنا بحديث النبي ﷺ إذ يقول:« لو أنكم توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروحُ بطانا »[54]؛ فلو كان " المسلم حريصا على خلق التوكل لرزقه الله عز وجل كما يرزق الطير،... ولو كان العبد طائعا لله مجتهدا في عمله معتمدا على ربه فإن الله سيكون حسبه وكافيه، والتوكل على الله لا يعني التكاسل والخمول وإنما تفويض الأمور إلى الله تعالى مع الأخذ بالأسباب"[55]، ومن تلك المفردات التي تحمل فيضا من الدلالات التي نستدل بها على الهدايات في شعره (الصبر) والذي يدعو فيه إلى التصبر والتثبت وترك الجزع؛ مبيناً أن بعض مـا يحـدث للإنسـان من حزن أو سرور لا بقاء له؛ فليس للإنسان بعد ذاك إلا الاستسلام والاصطبار وترك الأيام تتقلب كيفما تشاء، ولا بد من الرضا بالقضاء والإيمان بالقدر خيره وشره لأنه أحد أركان الإيمان الستة، ولابد للمسلم أن يكون صبورا في مواجهة محن الحياة وقسوتها فهي زائلة لا محالة، ولابد للمرء من السماحة والوفاء، لانهما يرفعان من شأن صاحبهما، داعيا الإنسان إلى عدم إظهار شيء من ألمه أو محنته أمام أعدائه، وعدم مسألة البخيل شيئًا مهما اشتدت الحاجة؛ ووجوب الأخذ بالقناعة لأنها سرّ الرضا والسعادة. مؤكدا الحقيقة المطلقة وهي أن لا شيء يحمي الإنسان من الموت، ويُنهي قصيدته كما بدأها بجملة "دع الأيام"، اترك الأيام وغدرها، فمهما كان غدرها شديد القسوة والإيلام، يكفيك بأنّها ستنتهي بالموت الذي لا دواء له. وقد ابتدأ الشافعي هذه القصيدة " بجانب القضاء والقدر وهو باب عظيم من أبواب العقيدة، ثم تدرج في الوعظ والنصح،

---

[53]- المصدر السابق ، ص164.

[54] - سنن ابن ماجه، أبو عبد الله محمد بن يزيد بن ماجة القزويني(ت273 هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط ، و عادل مرشد ، ومحمَّد كامل قره بللي - عَبد اللّطيف حرز الله ، دار الرسالة العالمية، ط1، 1430ه- 2009م ، ج5/ص266.

[55] - تجليات التناص الديني في شعر الإمام الشافعي، ص144.

وبيان خصال المروءة الكريمة التي يحسن بالرجل أن يتصف بها؛ ومن ذلك الجود والسخاء، والصبر، وعزة النفس، والقناعة برزق الله"[56].

دع الأيـــــام تفعل ما تشـــــــاء وطب نفسا إذا حكم القضاء
ولا تجـزع لحـــادثـــــــة الليـــالي فما لحـوادث الدنيـــــا بقـــاء
وكن رجلا على الأهوال جلدا وشـــــيمتك الســـماحة والوفاء
وإن كثـرت عيوبك في البرايـــا وســـرك أن يكون لهـــــا غـطاء
تســـتر بالســـخاء فكل عيـب يـغطيـــه -كما قيل- الســـخاء
ولا تـــُرِ للأعـــادي قـــــط ذُلا فإن شـــــــماتـة الأعداء بـــلاء
ولا تـرجُ الســـــماحة من بخيلٍ فـما في الـنـــار للظـمآن مـــــــاء
ورزقك ليـــــــس ينقصه التأنـي وليـــــس يـزيد في الرزق العناء
ولا حـــزن يـدوم ولا ســـــــرور ولا بـــؤس عليـــك ولا رخـــــــاء
إذا ما كنت ذا قـــلب قنـــوع فأنت ومـــالك الدنيـا ســـــواء
ومن نـــزلت بســـاحته المنايـــا فلا أرض تـقيـــــه ولا ســـــماء
وأرض الله واســـــــعة ولـكـــن إذا نـزل القضا ضـاق الفضـــاء
دع الأيام تغـــــدر كل حيـــن فما يغني عن الموت الدواء[57]

وقد حرص الشافعي رحمه الله على مواجهة مصاعب الحياة بالصبر والتجلد والعمل؛ لأن الإسلام دين يدعو لحياة القلوب قبل الأبدان، ويأمر بالعمل والسعي والجهاد في سبيل وفي سبيل إعمار الأرض وبنائها [58]؛ وفي ذلك يقول:

سأضربُ في طولِ البلادِ وعرضِها أنالُ مُـرادي أو أموتُ غَريبـــــا
فَـإن تلِفت نفسي فللَّهِ درُّهـــــــــا وإن سلِمت كان الرُجوعُ قريبـــا[59]

ويناجي الشافعي رحمه الله عزَّ وجل بأسلوب متأدب متذللا إليه، راجيا أن يكون من عباده المقربين، ومن أوليائه الذين يحبونه ويحبهم، فتلك غاية أمنيته، التي تنسيه جميع المصائب ، فيقول:

أنت حسبي، وفيك للقلب حسب ولحســـبي إن صح لـي فيك حسبُ

---

[56] - الإمام الشافعي شاعرا، د. تشيش عمر، مجلة علوم اللغة العربية وآدابها، جامعة أمين العقال الحاج موسى آق أخاموك – الجزائر ،مج 13، ع1، 15/3/2021م، ص2550، ص2550.

[57] - ديوان الشافعي، ص46-47.

[58] - ينظر: الرؤية والموت في ديوان الإمام الشافعي – دراسة موضوعية-، د.حنان بنت غالب المطيري، مجلة كلية اللغة العربية -جامعة الأزهر، ع35، الإصدار الثاني-أكتوبر ،1444ه-2022م. ، ص 688.

[59] - ديوان الشافعي، ص55.

لا أُبـــالي متى ودادك لـــــــــي صـــــح ومن الـــدهـــــر ما تعـرَّض خـطـــبُ[60]

ويظهر تأثره بتعاليم الدين الإسلامي عبر ما يقتبسه من نصوص القرآن الكريم من ذلك قوله في حب آل النبي ﷺ :

تـزلـزلــت الـــدنيـــــــــــا لآل محمد وكادت لهم صم الجبال تذوب[61]

إذ أقتبس زلزلة الدنيا من قوله تعالى:(إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا)[سورة الزلزلة، الآية 1]، وكذلك قوله:

ولا تمشين في منكب الأرض فاخرا فعما قليل يحتويك ترابها[62]

من قوله تعالى: (وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُور) [سورة لقمان، الآية 18]. وقد استعان رحمه الله باللفظ القرآني في نصه الشعري" ليوحي للقارئ بالتداخل مع النص القرآني، وهذا ما يتضح في الدلالات المعنوية للكلمة، فالله عز وجل يحذر العبد من أن يظن أن الله ساه عن أي شيء"[63]؛ وفي ذلك يقول:

ولا تحســـــــــبن الله يغفل ســـــــاعة ولا أن ما يخـــفى عليه يغيب[64]

والذي استمده من قوله تعالى: (وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِهِمْ ذَلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ)[سورة إبراهيم، الآية 14]. ونجده أحيانا يقتبس جملة ليضمنها في أشعاره لما لها من وقع وتأثير في الدعوة للحق والى طريق الرشاد، من ذلك قوله:

وجـوزيَ بالأمـر الذي كـان فاعـلا وصبَّ عليـه الله ســـــــــوطَ عذابـهِ[65]

فقد استمد قوله من قوله تعالى:(فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ) [سورة الفجر ،الآية 13].

ومن كل ما سبق يتضح لنا كيف وظف الشافعي رحمه الله بعض الفاظ القرآن ومعانيه وضمنها في أشعاره، وبصيغة تكسبها نوعا من الخصوصية، وبشكل يثير في نفس المتلقي قدرة إيحائية تساعده على استجلاء النص الشعري ومدى تأثره بالقرآن الكريم، وبما يظهر لنا نزعته الإيمانية، ومدى تعلقه بالله عزَّ وجلَّ والتزامه بأوامره واجتنانه لنواهيه.

****

---

[60] - المصدر السابق، ص 54.

[61] - شعر الإمام الشافعي، ص230.

[62] - ديوان الشافعي، ص51.

[63] - التناص القرآني في ديوان الإمام الشافعي(دراسة وصفية تحليلية)، الحاجة رفيدة بنت الحاج عبد الله ، مجلة لسانيات اللغة العربية وآدابها ، إصدار كلية اللغة العربية، ع6 ، أبريل 2022م، ص46.

[64] - شعر الإمام الشافعي، ص231.

[65] - المصدر السابق، ص53.

الخاتمة

يعد الإمام الشافعي رحمه الله أحد أعلام الفكر الإسلامي لما قدمه من علم وفكر، وهو ليس فقهيا فحسب بل هو إنسان قيمي؛ يتضح ذلك من خلال ما نطالعه في أشعاره التي لاتزال خالدة في أذهان الكثيرين والتي كشفت مدى براعته في إيصال الفكرة للمتلقي. وقد تضمن شعره مجموعة من المبادئ والقيم التربوية السامية النابعة من كتاب الله وسنة رسوله والمفعمة بالدلالات والإيحاءات الإسلامية، وقد تنوعت أغراضه ما بين الحكمة والزهد والدعاء، وشؤون الحياة والمضامين الاجتماعية التي نجدها في شعره ما هي قيم أخلاقية اجتماعية ومبادئ سلوكية يبني على أساسها الفرد المسلم حياته المادية والروحية بطريقة متوازنة .

وقد كان القرآن الكريم والسنة النبوية المعين الذي يستقي منه الشافعي رحمه الله فيض أشعاره التي كتبها لتكون أحد وسائله في الدعوة الى الحق والهدي الى الطريق المستقيم. والمتصفح لديوان الشافعي يجد تعالقا بين أشعاره ونصوص القرآن الكريم وذلك عبر اقتباسه اللفظ أحيانا، أو المعنى أحيان أخر، ونجده تارة يأتي باللفظة القرآنية المفردة، وتارة أخرى يأتي بالآية بأكملها أو بجزء منها؛ وكل ذلك ليذكر الخلق بعظمة الخالق، وليهديهم إلى ما أراد الله عزَّ وجلَّ.

وبعد: فإن هذا كله يدعونا للتوصية بالتعامل مع القرآن الكريم بمنهجية صحيحة، في فهم نصوصه وتدبر آياته، والنظر في سياقه، واستنباط مقاصده، والاهتداء بهديه، والاستفادة من آثار السابقين من الصحابة والتابعين، كما يدعونا الى توظيف ألفاظ القرآن ومعانيه في النصوص الأدبية الشعرية أو النثرية لبث القيم الأخلاقية في المجتمع وليؤدي الأدب دوره الرسالي الذي أراده له نبينا ﷺ وديننا الحنيف .

****

هوامش البحث ومصادره ومراجعه: